ومناسك يؤديها عُشرهم، قد ورثوها عن آبائهم وأجدادهم حتى صارت عادة معتادة في حياتهم... أما عن حقوق الله عزّ وجلّ في الحُكم والطاعة والتشريع، فلا يعرفون عنها شيئًا فضلًا عن المطالبة بها أو الدعوة إليها، كذا الكفر بالطاغوت وتكفير الطواغيت والمشركين، فلا تسمع له همسًا بينهم؛ فليس في عقائدهم الكفر بالطاغوت والتكفير له ولعابديه، أو الإنكار للتحاكم إلى محاكمه، أو البراءة من رؤوس الكفر والطغيان ورموزه.

لم يسمع زيدٌ بهذا في أوساط مجتمعه؛ فقد نشأ على أسلمة هؤلاء وعدّهم من جملة المسلمين... نشأ وهو يسمع سبّ الدين والذّات المقدّسة في البيوت والشوارع والأسواق، ويحفظ النكات التي فيها الاستهزاء بآيات الله، والأمثال التي فيها من الشرك والكفر ما لا يعلمه إلا الله، يتداولها الصغار قبل الكبار... المجتمعات التي في زَهْوها تُنَكِّت بالاستهزاء بآيات الله، وفي غضبها تَنتفض بسبّ ذات الله. لقد علم زيدٌ أنّ الناس اليوم قد دخلوا في دين الديمقراطية عن بكرة أبيهم إلا من رحم الله، وأظهروا الموافقة والاتّباع لأوضاعه، والانقياد لقوانينه وأحكامه، واعتنقوا دين الوطن؛ فلهم حقوق المواطنة وعليهم واجباتها، فهُم عبيد لهذا الوثن... ثم يأتي المرقّع بعد ذلك ويقول: إنّ هذا كُفر دُون كُفر! وإنّ هؤلاء أهل القبلة! ويحتجّ على تصحيح مثل هذا الواقع المنسلخ بآثار في وقائع مباينة تمامًا لما فيه الناس اليوم، كأنه لا يعلم أنّ ما وقع فيه الناس اليوم أشدّ وأشنع مما وقع فيه اليهود والنصارى... فحسبنا الله ونعم الوكيل في أهل الأهواء الذين يحرّفون الدين على غير تنزيله، قال عمر بن الخطّاب: «أَخْوَف ما أخاف على هذه الأمّة؛ الذين يتأوّلون القرآن على غير تأويله».

لم يقتنع زيدٌ بفلسفة المرقّع في ردّه للتكفير بالعموم وزَعْمه أنه من منهج الخوارج المارقين، فرَدّ بسليقته على المرقّع قائلًا: إنه إذا ظهر الإسلام في المجتمع بأحكامه وشرائعه وشعائره، حَكمنا على عموم الناس بالإسلام ولو كان فيهم منافقين مستخفين؛ فهُم من جملة المسلمين في الظاهر ولا حُكْم لنا على الباطن... وكذلك إن كان المجتمع يعلوه الشرك والكفر في شعائره وشرائعه وأحكامه، حَكمنا بعموم الكفر على أفراده وإن كان فيهم المستخفي بإسلامه؛ فباطنه ليس محلًّا للحُكم وظاهره من ظاهر قومه... بهذا التأصيل الواضح المتين دفع زيدٌ أحلام المرقّع في تصحيح دين الجاهليين ونَسَفَ بذلك فقّاعات المرقّعين. لقد تصوّر زيدٌ حقيقة الإسلام تصوّرًا صحيحًا، فلمّا نظر إلى ما حوله وجد أمرًا مغايرًا تمامًا، فعرف أنّ قومه ليسوا على الإسلام في شيء، قال حذيفة بن اليمان: «جاء الإسلام حين جاء، فجاء أَمْرٌ ليس كأَمْرِ الجاهلية»، وبهذا التصوّر لحقيقة الشيء وضدّه تتمايز الأمور وتنكشف حقائق الأشياء، إذ لولا الظلام ما عُرف النور، ولولا الشرّ ما استبان الخير، وكل ضدٍّ يكشف عن ضدّه. لذلك يجب على كل مكلّف تعلّم الإسلام بحدّه الصحيح والعمل به، وخاصةً في هذا الزمان الذي اشتدّت فيه الغربة وانحرفت فيه الخليقة.

قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، عن عاصم بن الأحوَل قال: كان أبو العالية يقول لنا: «تعلّموا الإسلام، فإذا تعلمتم الإسلام فتعلّموا القرآن، فإذا تعلمتم القرآن فتعلّموا السنة؛ فإنّ سنة نبيكم ﷺ صراط مستقيم، وإياكم أن تُحرِفوا الصراط يمينًا وشمالًا، وإياكم وهذه الأهواء المُرْدِيَة التي تُلْقي بين الناس العداوة».

اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.



مطوية

المجلة

زَيْدٌ وَالْمُرَقِّعُ

شعبان ١٤٤٥ هـ

www.seiraj.com

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد: نشأ زيدٌ في الأحياء الشعبية وهو يعرف جيدًا أحوال الناس فيها، ولا يُمسح من ذاكرته ما عايشه مع قومه منذ نعومة أظفاره إلى استواء عُوده وشبابه؛ صور ومشاهد ووقائع متراكمة كوّنت عنده يقينًا بحقيقة واقعه وتركيبة مجتمعه، فإذا عَرف الإسلام الحنيف ونَظر بمنظوره في هذه المجتمعات لن يستطيع أن يَحكم بالإسلام على هؤلاء؛ لِما تقرّر في قلبه من أنهم غارقون في أودية الشرك والكفر وبراثن الجاهلية. لن يستطيع المرقّع أن يُقنع زيدًا المنصف بزخرف القول في أنّ من يعيش بينهم هُم مسلمون! وهو يعلم غاية العلم اليقين أنهم يردّدون كلمة لا يفقهون معناها ولا يعملون بمقتضاها، وأنه يعيش في الزمان الذي قال فيه علي بن أبي طالب: **«يأتي على الناس زمانٌ لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رَسْمُه»**.

إنّ القضية ليست في كثرة العلم ولا في قوة الاستدلال، ولكنها فتحٌ من الله، وانشراح صدرٍ بالإسلام، وواقعٌ ينضح بالكفر من جميع جوانبه ومظاهره وزواياه، هذا الواقع الذي يولّد يقينًا بكفر أهله ورعاياه، يقينٌ لا تدفعه شبهات المدلّسين وترقيع الملبِّسين لمن صدق في طلبه للحقّ وسعى له مسعاه.

لم يكن يرى زيدٌ في مجتمعه الصغير من أهله وقرابته ومعارفه من قلبه ينبض بالتوحيد، لم يسمع عن أحد ممن حوله يتكلم بهذه المعاني والحقائق فضلًا عمن يعمل بها في مثل هذه المجتمعات... مجتمعٌ ينضح بالجهل من جميع أفراده، والمتديّن منهم على طريقة الصوفية أو المدخلية أو الإخونجية؛ فهؤلاء هُم عصارة المجتمع من المتدينين، أما الباقي من الطّوام والغوغاء فهُم أتباع الشيطان وأولياؤه

من جملة المنسلخين. هذه تركيبة المجتمع؛ بين التديّن بدين شركي باطل والاتّباع المطلق للهوى والشيطان. ولا ينقضي العجب ممن يكفِّر هؤلاء المتديّنين بهذه الأديان الباطلة بالعموم والأعيان، ويعذر أتباع الشياطين المنسلخين بالعموم والأعيان؛ يكفِّر العصارة ويؤسلِم الرّذالة، وهذا من عجائب الأقوال في هذا الزمان.

لقد نشأ زيدٌ كما نشأ غيره في هذه المدارس التي هي دُور الوثنية ومسالخ الفطرة السوية، وهي قلاعٌ لتخريج أجيال عاكفة على عبادة الطاغوت، وطاعته، وتشييد عرشه، وتثبيت سلطانه، فقد نشأ على تحية العلم الوطني في صبيحة كل أيامه، واعتاد على الاحتفال بالأعياد الوطنية في مناسباته، وترعرع على تعظيم الطواغيت العلمانية، وعكف على الجلوس في مجالس دراسة مناهج الكفر والشرك والوثنية سنين متتالية. كيف يستطيع المرقّع أن يقنع زيدًا أنّ هذه المفاهيم التي تشرّبها في المدارس تجامع الإسلام ولا تصادمه، والتي منها الاندماج في المجتمع الجاهلي، وقبول الدولة المدنية والتعايش معها، وغرس معاني المواطنة وبذور الولاء للوثن الذي يسمونه الوطن، واحترام القوانين والدساتير الوضعيّة، وغيرها من التربية المدنيّة؟! هل يُتصوّر جدوى هذا الترقيع في مجتمع لا تسمع فيه صوتًا حُرًّا للتحذير من هذه المدارس وبيان أوجه الكفر فيها؟! بل الواقع يشهد أنّ عموم الناس حريصون على الزّج بأبنائهم في هذه الدُور غاية الحرص، وهي ثقافة المجتمع قاطبة، بل من يجتنب هذه القلاع يُرمى بأشنع الأوصاف من الأمّية والتخلّف والرجعيّة. هكذا تنشأ الأجيال العلمانية في دُوَل التعليم الإلزامي، ثم يأتي من يدافع عنها ويريد أن يُلبسها الحلّة الحنيفية المسلمة، وهيهات هيهات.

لقد نشأ زيدٌ في هذه المدارس بتلك المناهج، فهل بعد أن عرف حقيقة الإسلام وخالط بشاشة قلبه، يشهد بإسلام زملائه وأوليائهم الذين زجّوا بهم في هذه الدُور، وبذلوا الغالي والنفيس لضمان مستقبلهم الوظيفي عبر هذه المدارس؟! لا شك أنّ زيدًا قد وقع في قلبه يقينًا أنّ هؤلاء ليسوا بمسلمين، كيقينه أنه كان قبل أن يعرف هذا الخير والهدى ليس في عِداد المسلمين... وفي رحلة زيدٍ في هذه الجاهلية النكراء، وبعد أن تخرّج من جامعته بعد سنين طويلة في مقاعد الدراسة الوضعيّة، وجد نفسه أمام حتميّة أداء الواجب الوطني ولا مناص له من ذلك، فجُرْجِر إلى ثكنات النظام ليخدم الراية التي نشأ على تعظيمها، والتي كان يخفق لها قلبه كلما سمع نغمات نشيدها، فيقف لها في قنوت وتعظيم عند رفعها وتحيتها... فصار زيدٌ جنديًّا عند الطاغوت يتدرب على كافة أنواع الأسلحة ليدافع عن وطنه وعن الديمقراطية والعلمانية، ليدفع عنها مكائد المتطرفين، ويلبي نداء الوطن عند الحاجة إليه في كل وقت وحين لدحر من تسوّل له نفسه قلب نظام الحكم العلماني إلى الحكم الإسلامي، وعلى هذا أقسم زيدٌ في ثكنته، ووقّع بدمائه، ووفّى بتلبية نداء وطنه. فهل بعد أن عرف زيدٌ الإسلام الصحيح يحكم بإسلام زملائه من جيله أو ممن قبلهم أو بعدهم من الذين تلقّنوا ما تلقّنه في الثكنات؟! هل يستطيع المرقّع أن يقنع زيدًا أنّ هؤلاء الشباب من جنود الاحتياط مسلمين؟! كيف ذلك وهُم أفراد لهذه الطائفة الممتنعة عن تحكيم الشريعة الربّانية؟!

نشأ زيدٌ في مجتمعه وهو يعرف همومه وأحلامه، ويعرف أنّ زوال الدين من أجندة أفكاره وأيامه... قومٌ قد رضوا بالدين الموروث المعدّل، فما الدين عندهم إلا شعائر